غزوة الأحزاب
وما بعدها

الشيخ منصور الرفاعى عبيد
وكيل وزارة الأوقاف الأسبق
للمساجد وشئون القرآن

الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب: غزوة الأحزاب وما بعدها
Ghazwat Al-Ahzab

اسم المؤلف: منصور الرفاعى عبيد
Mansour Obeid

14 x 20 سم. 96 ص.
14 x 20 cm. 96 p.

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 2000/15285
ISBN: 977-339-009-8

الطبعة الأولى
1421 هـ/ 2001 م

كافة حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر

الدار الثقافية للنشر - القاهرة
ص.ب 134 بانوراما أكتوبر 11811 - تليفاكس 4027157 - 4172769
Email: sales @thakafia.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

نحمدك اللهم حمد الشاكرين، إياك نعبد وإياك نستعين، ونصلى ونسلم على نبيك الأمين ورسولك العظيم محمد بن عبدالله النبى المصطفى الكريم وعلى آله الطيبين، ورضى الله عن أصحابه الغر الميامين. . وبعد.

فبين يدى القارئ غزوة الأحزاب، وقد قدمناها، للقارئ الكريم، لأنها ذات مغزى ودلالة وارتباط بما يجرى على الساحة الدولية الآن من تعنت اليهود وصلفهم وغرورهم وعدم التزامهم بالمواثيق الدولية واعترافهم بحق المواطنين الذين أخرجهم اليهود من ديارهم واستولوا على أموالهم، واليهود يعرف عنهم التاريخ أنهم لا يبالون بعهد أعطوه ولا يقيمون وزنًا لميثاق أبرموه لأن العهود والمواثيق (عند اليهود) لا قيمة لها ولا اعتبار إلا إذا كانت هذه العهود والمواثيق تحقق لهم مصلحة أو تعود عليهم بالنفع - هذا خلقهم - منذ أن حلت اللعنة بهم على لسان داوود وعيسى بن مريم لأنهم كانوا قد عصوا أمر الله ومازالوا يعتدون دائمًا على الضعفاء. إن تصرفاتهم وسلوكهم فى كل المجتمعات تجسد خِسَّتهم ولؤمهم وتظهرهم أمام المجتمع العالمى ووجوههم كالحة منَ الغدر والخيانة ورصيدهم الهائل من المخازى والرذائل، إنهم فى لبنان يرتكبون الأعمال الوحشية والهمجية، وفى

فلسطين يمسحون من الوجود قرى أهلها عُزّل، ويبيدون عشرات الألوف من النساء والأطفال ويقفون بجوار الجثث يشربون الخمر ويرقصون وكأن شيئًا لم يكن. ولهذا فإن الخبراء فى علم النفس يؤكدون أن كل فرد من الشعب اليهودى قد رسخ فى ذهنه وامتزج فى دمه أن مهمته فى الحياة هى الإفساد والتخريب لكل ما هو غير إسرائيلى.

ويكفى للتدليل على ذلك أن الحركة الشيوعية ارتكب قادتها جرائم بشعة من التعذيب والقتل والإبادة كانت من الوحشية والهمجية بصورة لم يشهد التاريخ لها مثيلا فى مختلف عصوره، ومن الذى وضع هذه الخطة إنه (كارل ماركس) اليهودى المجرم الحاقد. كذلك أثبت التاريخ أن الذين وضعوا المخطط البشع للمجازر الوحشية التى ارتكبت فى أول عهد الثورة الفرنسية والذين دبروا كل هذه المجازر إنما هم اليهود.

ولكى ندلل على ذلك نذكر أنه فى عام ١٧٨٩م ألقى الرئيس بنيامين فرنكلين خطابًا عند وضع دستور الولايات المتحدة جاء فيه ما يلى: هناك خطر عظيم يتهدد الولايات المتحدة الأمريكية ذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود.

أيها السادة فى كل أرض حلَّ بها اليهود أطاحوا بالمستوى الخلقى وأفسدوا الذمة التجارية فيها ولم يزالوا منعزلين لا يندمجون بغيرهم وقد أدّى بهم الاضطهاد إلى العمل على خنق الشعوب ماليا كما هو الحال فى البرتغال وأسبانيا، منذ أكثر من (١٧٠٠)عام. وهم يندبون

حظهم ويعنون بذلك أنهم قد طُردوا من ديار آبائهم ولكنهم أيها السادة لن يلبثوا إذا ردّت إليهم الدول اليوم فلسطين أن يجدوا أسبابًا تحملهم على ألاّ يعودوا إليها. لماذا؟ لأنهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض ولا بد لهم من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون إلى عرقهم فإذا لم يُبعد هؤلاء عن الولايات المتحدة بنص دستورها فإن سيلهم سيتدفق إلى الولايات المتحدة فى غضون مائة سنة إلى حد يقدرون معه على أن يحكموا شعبنا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذى بذلنا فى سبيله دماءنا وضحّينا له بأرواحنا وممتلكاتنا وحرّياتنا الفردية. ولن تمضى مائتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا فى الحقول لإطعام اليهود على حين يظل اليهود فى البيوتات المالية يفركون أيديهم مغتبطين.

وإننى أحذركم أيها السادة أنكم إن لم تُبعدوا اليهود نهائيًا فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم فى قبوركم، إن اليهود لن يتخذوا مُثُلنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرات أجيال فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلده الأرقط.

إن اليهود خطر على هذه البلاد إذا ما سمح لهم بحرية الدخول فإنهم سيقضون على مؤسساتنا وعلى ذلك لا بد من أن يُستبعدوا بنص الدستور. ا، هـ[1].

هذا كلام هام جدًا لأنه صدر من أكبر زعماء الولايات المتحدة

---

(١) نشر هذه الوثيقة الأستاذ حسين أبو بكر القاضى المتخصص فى الدراسات الإسلامية (سعودى الجنسية) ونشرت فى جريدة الندوة بمكة فى العدد ٥١١ بتاريخ ربيع الأول سنة ١٣٨٠هـ وقد نشر النصّ الإنجليزى فى حينه.

الأمريكية فى القرن الثامن عشر وأعظم قادتها والمخلصين لها على الإطلاق وهذه الوثيقة موجودة فى معهد بنيامين فرنكلين فى فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، ويتبين من هذا أن كل القادة والمسئولين الحريصين على سلامة أوطانهم وشعوبهم يحاولون تطهير أوطانهم وتنقية مجتمعاتهم من هؤلاء اليهود لعلمهم بحقيقة نفوسهم وما يتسمون به من الإفساد والتخريب والتدمير، فاليهود كالجسم الغريب الضار على جسد البشرية، فما حلّ اليهود على بلد إلاّ وارتكبوا من الجرائم والخيانات والدّس بين الناس والوقيعة بينهم بأسلوب غير مسبوق، فكل تيارات التدمير الخلقى والانحراف العقائدى إنما هو فى الغالب والأكثر من صنع التفكير اليهودى وتخطيطه.

إنه منذ اللحظة الأولى التى أشرف فيها نور الإسلام، ومنذ الساعة التى وصل فيها النبى محمد ﷺ إلى المدينة واليهود يكيدون للإسلام ويتربصون بالنبى ويبثون من الأراجيف وينشرون من الأكاذيب ما تستهدف تشكيك الناس فى صدق النبى ﷺ والتنفير من الدعوة الإسلامية، وبالرغم من التسامح الذى عامل به النبى ﷺ اليهود فإنهم لم يقابلوا هذا إلا بالحقد والحسد، فعندما ألقت (يثرب) كلها بزمام حكمها إلى شخصية سيدنا محمد ﷺ إلا وقام هذا النبى على الفور بعقد معاهدة الدفاع المشترك والتعايش السلمى وعدم الاعتداء من أحد الطرفين على الآخر، وبرغم هذه المعاهدة المعقودة لكن اليهود ظلّوا يقاومون الدعوة الإسلامية ويثيرون المتاعب فى وجه حاملها، ومع ذلك قابل النبى ﷺ كل ذلك بحلم واسع وصبر جميل وتسامح عظيم حتى مع الذين تآمروا على حياته وقرروا اغتياله مرة بالحجر،

وأخرى بوضع السّمّ، وأخرى بدفع الأموال لمن يغتاله، ومع كل هذا ذهب فى التسامح معهم إلى أبعد الحدود فكان يعفو ويصفح ويمد يده بالمودة إليهم فلم يقابلوا هذه الأخلاق الكريمة إلا بالتآمر والغدر، فكان لا بد من وقفة فيها الجد، يسمعهم فيها لغة السيف لأنهم دائمًا يرتكبون أشنع الجرائم وأخس صور الغدر خاصة عندما خانوا المواثيق، ونكثوا العهود، وداسوا على شرف الكلمة، وتعاهدوا مع الغزاة من قريش وغطفان وانضموا إليهم فى غزوة الأحزاب، وخططوا وبدقة فى وقت الأزمة الشديدة، وفى الساعات الحرجة لضرب المسلمين من الخلف خيانة وغدرًا مستهدفين القضاء على الإسلام واستئصال شأفته وإبادة المسلمين إبادة تامة غير مبالين بما أعطوا من عهد ولا ملتفتين إلى ما وقّعوا عليه من مواثيق، لكن من حفر لأخيه حفرة وقع فيها، فإن المصير الذى خططوه للمسلمين ليدفعوهم إليه ويبيدوهم ارتدّ عليهم أنفسهم فكان جزاؤهم الإبادة؛ لأن غزوة الأحزاب انتهت والحمد لله لصالح المسلمين فكانت العقوبة التى تتناسب مع اليهود هى (الخيانة العظمى)، ولا بد أن ينالوا جزاءهم عليها، ولك أن تتأمل ما نزل باليهود لتعرف أن الخائن لابد أن ينال جزاءه مهما طال الوقت.

إن الدروس المستفادة والتى تبرز أمام أعيننا من وراء الغيب توضح لنا أن الرسول ﷺ لم يستعمل السيف إلا بعد أن استعمل كل الوسائل الممكنة من إدارة الحوار و التفاهم بالمعروف واستعمال العقل، لأن الإسلام دين سلام يمقت الحرب لأنها مدمرة للأحياء مهلكة للحرث والنسل، وهذه الدروس يجب أن نستفيد منها فى وقتنا الراهن وأن

نعتمد على الله وعلى أنفسنا وأن نحلل غزوات الرسول لنستفيد منها وأن نضع فى اعتبارنا أن اللغة الوحيدة التى يفهمها اليهود هى لغة القوة ولن تحل مشكلة فلسطين إلا بالسيف.

فما أخذ بالقوة لا يُسترد إلا بالقوة. أما المؤتمرات الدولية وهيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن فهذه تحكمها قوة خفية فهى كذلك تحتاج إلى قوة، كذلك لا تحل القضية بالمؤتمرات المحلية المشحونة بالتشنجات والصراخ والعويل والخطب والقصائد فكل ذلك فى الهواء يضيع على الرمال والصخور، ولعلنا نذكر المثل العربى (أشبعتهم شتمًا وراحوا بالإبل).

ونحن لا ندرى لمصلحة مَنْ هذا التهافت والاستخزاء، ألم نأخذ العبرة من الدول التى وجدت نفسها بعد اندحار الشيوعية فنهضت من كبوتها وأظهرت تنكرها للاتحاد السوفيتى وبدأت هذه الدول تستعيد شخصيتها كالصين ورومانيا وألبانيا والشيشان وكوسوفو وغير ذلك.

إن الأمة التى لا تحترم نفسها لا يمكن أبدًا أن تحترمها الأمم، والمسلمون اليوم والعرب معهم تنكروا لعقيدتهم وتناسوا حضارتهم فتداعت عليهم الأمم كما تداعى الأكلة على الثريد، وزرعت الدول الأجنبية دولة إسرائيل - التى لم تقبلهم أى دولة- فى أرض العرب والمسلمين، ولو أن العرب والمسلمين تمسكوا بدينهم وتدارسوا حضارتهم، وعرفوا تاريخ آبائهم وأجدادهم لفرَّ اليهود أمامهم، وقالوا عن العرب والمسلمين ما قاله اليهود من قديم الزمان (إن فيها قومًا جبارين).

إن رسول الله ﷺ خاطب اليهود باللغة التى يفهمونها وكان من حوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، ونحن عرب ومسلمون فإن عدنا إلى ديننا عادت إلينا قوتنا وهابنا العدو وخاف فـ (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). وغزوة الأحزاب وما تبعها من غزوة بنى قريظة كانتا السبب فى تصفية العنصر اليهودى من المدينة المنورة، وتم تطهير تلك البقعة الطيبة الطاهرة من شرور هذا النوع الخبيث من البشر الذى لا يعرف إلا الشر.

نقدم ذلك مذكرين الأمة بأمجادها فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

هذا وبالله التوفيق.

منصور الرفاعى عبيد

القاهرة فى غرة رجب الحرام ١٤٢١هـ

غزوة الخندق (الأحزاب)

من الحوادث العظام والأمور الهامة التى وقعت فى زمن رسول الله ﷺ غـزوة الخندق، وقـد جـاء ذكـرها فى القـرآن الكريم فى سـورة الأحزاب، لذلك فإن بعض المؤرخين يسميها «غزوة الأحزاب» وهذه الغـزوة حـدث فـيـهـا بين المؤرخين خـلاف فى زمن تحـديـدها والرأى الصحيح الـذى يميل إليه الكثيـر وتؤيده الوقائع أنهـا وقعت فى السنة الخـامـسـة من الهـجـرة، وأنـهـا كـانت فى شـهـر شـوال، ولقـد اهتم المؤرخـون بهـذه الغـزوة لأن أثرها كـبـيـر فى تاريخ المسلمين، ولهـا مقدمات ونتائج فهى:

أولاً: تبرز أمامنا صفحة من تاريخ اليهود وتكشف عن أسلوبهم الدنىء فى إثارة الأحـقـاد وتسـخـير قيـمـهـم لخدمة مـصـالحـهـم وقضـاء مآربـهـم حتى ولو أدى الأمر إلى التـجـسس والإغـراء بالمال.

ثانيًـا: تكشف هذه الغزوة عن قـوة الإسلام وكـيف أن أصحـاب العقيدة يصبرون على البلاء والجوع.

ثالثًا: تكشف لنا عن شـخـصـيـة الرسـول ﷺ فى قيـادته الحكيـمـة وفى صـمـوده أمـام طـواغـيت الشـر وأوليـاء الشـيـطان ثم إن المسلمين لو تعـرّفـوا على غـزوة الأحـزاب واسـتـفـادوا من دروسهـا ثم صـدقت عزيمتهم لأبصروا طـريق الحق ووصلوا إلى بر السلام.

بداية المعركة

كانت بداية هذه المعركة لؤم اليهود وخبثهم، لأنهم سماسرة حرب وتجار أسلحة، ثم هم يعملون على إشعال الحروب فى كل مكان ليربحوا حتى ولو كان من وراء ذلك دمار العالم كله، لذلك، يحسن بنا أن نلقى نظرة سريعة فى بداية معركة غزوة الخندق لنؤكد بالدليل على ما نقول:

عندما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، أظهر اليهود الود لهذا النبى العظيم، لذلك كانت أول صيحة مبشرة بقدوم النبى ﷺ يسمعها أهل يثرب كانت من رجل يهودى فهو الذى وقف على جبل خارج يثرب يصيح بأعلى صوته: يابنى «قيلة» هذا جدكم قد جاء، وقيلة هى جدة للأنصار جميعًا، من هنا كانت العلاقة بين النبى ﷺ وبين اليهود تتسم بالود وعلاقة الجيرة القائمة على التعاون والألفة، وقد أقرهم النبى ﷺ على دينهم وأمَّن أموالهم، وكتب كتابًا «معاهدة» بينه ﷺ وبينهم، شرط لهم واشترط عليهم، إلا أنهم لم يحفظوا هذا الود ولم يقوموا برعايته، وحاولوا مرارًا وتكرارًا أن يستميلوا رسول الله ﷺ إلى جانبهم ويطووه تحت جناحهم، حتى لا يكون له رأى إلا بعد مشاورتهم والأخذ برأيهم، والغرض من ذلك، أن يدعموا مركزهم فى يثرب، ثم يكون لهم الهيمنة على الجزيرة العربية، وقد حاولوا ذلك معتمدين على:

أ - أنهم أهل كتاب، موحدون، لهم نبى ونبيّهم تلقّى وحى السماء.

ب – رسول الله ﷺ كان يصلى إلى بيت المقدس وقد غرهم ذلك وأقنعوا أنفسهم بأنه ما دام يصلى إلى قبلتهم فهو معهم – وقد كان النبى ﷺ قد استقبل بيت المقدس فى صلاته ستة عشر شهراً – فكان اليهود يقولون ما عرف محمد ولا أصحابه قبلتهم حتى هديناهم نحن إلى قبلتنا .

جـ – كان اليهود يجلسون مع رسول الله ﷺ ويذكرون أن مقام الأنبياء السابقين كان ببيت المقدس ، ويقولون إن كان رسولاً حقًا فلِمَ لم يصنع مثل ما صنع من سبقه من الأنبياء ويتخذ من بيت المقدس مكان إقامته .

إن النبى ﷺ الذى أنعم الله عليه بعمق الفكر وبعد النظر لم يخف عليه لؤم اليهود ، لذلك كان يضرب بآرائهم عرض الحائط ويحاول من جانبه ﷺ أن يبين لهم حسن النية ، لكنهم تمادوا فى غيهم حسداً وبغيا ، فهم يعلمون أن النبى صادق فيما يُبلغ ، وأنه على الحق ، وقد قال القرآن عنهم حيث كشف عن طويتهم الخبيثة : ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[البقرة : ١٤٥ ، ١٤٦] .

إن العقل السليم لا يقبل أبداً أن تنزوى الرسالة العالمية وتتقلص لتكون تحت سيطرة اليهود ، من هنا غاظهم عدم استجابة النبى ﷺ وأحس اليهود بخيبة أملهم وفشلهم فى تخطيطهم فلجأوا إلى نوع

آخر من الكيد للدين الجديد، فقاموا بحملة قوية من التشكيك ونشر الإشاعات ضد الدين الجديد، لما قرأ رسول الله ﷺ ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

قالت اليهود عند سماعهم لهذه الآية: إن ربَّ محمد افتقر، فهو يسأل عباده أن يقرضوه، وقال بعضهم لسيدنا أبى بكر رضى الله عنه، ما بنا إلى الله من حاجة، لكنه هو الذى يحتاج إلينا، فهو فقير ونحن أغنياء ولن نقرضه أبدًا، فغضب أبو بكر رضى الله عنه من هذا الكلام وضرب اليهودى، ونزل فى هذا قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[آل عمران: ١٨١]. ثم إن حملة التشكيك من جانبهم لم تتوقف حيث كانوا يذهبون إلى النبى ﷺ ويسألونه عن أمور غيبية، كقيام الساعة، كيف ومتى؟ وعن وحدانية الله وصفاته وعن الروح، وعن ذى القرنين إلى غير ذلك من الأسئلة الحرجة التى كانوا يتفننون فيها ليوهموا الناس أنهم على علم ودراية وقدرة، وأن دينهم الحق وأن محمدًا ودعوته ليسا على الحق، فلما فشلوا فى الأسئلة وعجزوا حيث كان رد السماء يفحمهم ووحى الله يعجزهم، ومحمد ﷺ فى خلقه وأدبه لا يقابل السيئة بالسيئة، لكنه يقابل السيئة بالحسنى، فهو المؤدب، المهذب، عف اللسان، الذى يتسم بالحياء وكفاه فخرًا ما قاله عنه رب الأرض والسماء ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

إن الشر له أساتذة ولم تعرف الإنسانية فى تاريخها الطويل مثل اليهود أساتذة فى الإجرام والتخطيط له وإشاعته، ثم هم أهل تجسس وخيانة. فلقد حدث أنه بعد غزوة بدر خرج أبو سفيان فى مائتى راكب من قريش ليغزو محمداً ﷺ فى مدينته فلما شارف المدينة خرج من الليل حتى أتى «سلام بن مشكم» سيد بنى النضير فاستأذن أبو سفيان على سلاّم فأدخله إلى بيته وقراه وسقاه ثم أعلمه ببواطن الأمور فى المدينة وأطلعه على مجريات الأحداث بها ودلّه على الأسرار كلها. ولقد كان يهود بنى قينقاع يواجهون النبى ﷺ بالتحدى ويقولون له بعد النصر الذى تحقق للمسلمين فى غزوة بدر «يا محمد إنا لسنا كقومك الذين لقيتهم ولا علم لهم بالحرب فأصبت منهم ما أصبت، إنا والله لئن حاربتنا لتعلمن أنا نحن الناس» كما أن بقية اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ «يا محمد إنك لقيت قومًا لا يحسنون القتال لو نازلتنا لعرفت أننا نجيد القتال»، كما أن «كعب بن الأشرف» يظاهره «أبو رافع اليهودى» توجها إلى أهل مكة بعد غزوة بدر وأخذا ينشدان الأشعار فى قتلى بدر من قريش وبعد أن أظهرا المحبة لقريش أخذا يقولان الشعر فى تجريح نساء المسلمين خاصة أم الفضل بنت الحارث ثم رجعا إلى المدينة بعد علم رسول الله ﷺ بكل ما قالاه، كما أن يهود بنى قينقاع عملوا حيلة فى امرأة مسلمة تسببت فى كشف سوأتها، أما بنو النضير فقد خرج رسول الله ﷺ وتوجه إليهم ليبين لهم أنه يجب عليهم مراعاة العهد والوفاء به وينهاهم عن الخيانة وما أن جلس النبى ﷺ بجوار دار أحدهم حتى تآمروا على قتله، وقد علا سطح الدار «عمرو بن جحاش» وبين يديه صخرة

ليرمى بها على رسول الله ﷺ فتقتله؛ لكن الله أخبر حبيبه ومصطفاه الذى أسرع بالقيام والرجوع إلى المدينة.

هذه نبذة قليلة من مؤامرات اليهود وخسة طبعهم وعدم انقيادهم للحق؛ لأنهم عاشوا فى ضلال ووهم. يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله ليشتروا به ثمنًا قليلاً، ولقد حفل التاريخ -وهو أصدق شاهد - بأعمالهم الخسيسة وتآمرهم المستمر.

دورهم فى غزوة الخندق

كان اليهود يرقبون الأحداث التى تجرى فى المدينة ويرون بأعينهم ازدياد المسلمين من حول رسول الله ﷺ وحب المسلمين الزائد لهذا النبى العظيم الذى يتمتع بطهارة النفس ونزاهة الغاية وشرف المقصد، ومن النصر الذى يتحقق له بين الحين والحين؛ لذلك بيَّت اليهود النية على أن يقوموا بدور خطير ويؤدوا لعبة تشعل النار فى الجزيرة العربية وتؤجج الحقد والبغضاء فى نفوس العرب جميعًا وبهذا يتم القضاء على محمد والعرب ويخلو الجو لهم، لذلك توجه وفد منهم يتقدمهم «سلام بن أبى الحقيق النضرى»، و«حُيى بن أخطب النضرى»، و«هوذة بن قيس الوائلى» وغيرهم كثير وكان غرض هذا الوفد أن يجمعوا العرب ويحزبوا القبائل ليقوموا مع بعضهم قومة رجل واحد على المدينة بمن فيها ويدمروها ويقتلوا المسلمين ويهلكوا حرثهم ويسبوا نساءهم ويسلبوا أموالهم، وهى خطة خبيثة جاءت فى وقت غير ملائم، وذهبوا إلى قريش وتعاهدوا معهم على الحرب، وكانت قريش تريد أن تثأر من محمد رغم أن الحروب السابقة أنهكتها لكن

مجىء اليهود إلى هنا وتعاهدهم معهم أوجد فى نفوسهم أملاً، لذلك وافقوا على الحرب، لكن «أبا سفيان» أراد أن يستوضح من اليهود سر تحركهم، وما هو الدافع لهم ليتعاونوا مع العرب الذين يعبدون الأصنام لذلك وجه السؤال الآتى إلى اليهود قائلا: «يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد «أفديننا خير أم دينه؟»، إن أبا سفيان ومعه العرب ظنوا أنهم سألوا «أهل الذكر» لأن اليهود يزعمون أنهم على دين موسى وأنهم على علم بميراث السماء، لذلك أقنعت قريش نفسها بأنها ستأخذ «الفتوى» من أهل الاختصاص، وفرح اليهود بهذا السؤال لأنهم سيشبعون رغبتهم فى خداع العرب، لذلك كانت الإجابة «بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه». إن اليهود لم يراعوا تعاليم التوراة التى تنفرهم من عبدة الأوثان لكنهم هنا لم يحفظوا حرمة التوراة وأهدروا الحق ووطأوا بأقدامهم كل مقدس وغال فى دينهم، وقد فرح المشركون بهذه الفتوى التى صادفت هوى فى نفوسهم، ولقد عاب على اليهود هذا المسلك واعتبره عاراً أحد مؤرخى اليهود واسمه (إسرائيل ولفنسون) الذى قال: «كان واجب هؤلاء اليهود ألا يتورطوا فى مثل هذا الخطأ الفاحش، وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامى ولو أدى بهم الأمر إلى عدم إجابة قريش فى سؤالهم»، ثم يقول هذا المؤرخ بعد كلام طويل كما جاء فى كتاب تاريخ اليهود فى بلاد العرب: «كان واجب اليهود أن يضحوا بحياتهم وكل عزيز لديهم فى سبيل أن يخذلوا المشركين، هذا فضلا عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الأصنام إنما

يحاربون أنفسهم بأنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة التى توصيهم بالنفور من أصحاب الأصنام والوقوف معهم موقف الخصومة» هذا كلام مؤرخهم «والحق ما شهدت به الأعداء» والقرآن الكريم ذكر هذا الحدث لما له من أهمية حيث يكشف عن الطوية الخبيثة والنفوس اللئيمة فيقول القرآن : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾[النساء: ٥١ ، ٥٢]. هل حفظ التاريخ عن أحد من البشر أنه نزل فى مثل هذا المستنقع الخبيث اللئيم، لقد فرحت قريش بهذه الفتوى التى دعمت الثقة فى نفسها بل وأعطتها حق الدفاع عن عقيدتها، لذلك سألت قريش حُيى بن أخطب عن قومه من بنى النضير ومدى مشاركتهم فى هذه الحرب فقال حيى عن قومه : «أقاموا بالمدينة مكرًا بمحمد حتى تأتوهم فيميلوا معكم» ثم أخذ وفد اليهود يتجول فى الجزيزة العربية بعد أن استوثقوا من قريش فذهبوا إلى «غطفان» وقد أغرى اليهود قبيلة غطفان بأن لهم نصف ثمر خيبر، لذلك وافق «عيينة بن حصن الفزارى» على المشاركة فى الحرب وكان زعيم غطفان وكتب إلى حلفائه بالمشاركة فى الحرب، وقد أخذ وفد اليهود يمر على بنى مرة وفزارة وأشجع وكل من له ثأر عند المسلمين، ولقد خرجت قريش فى أربعة آلاف مقاتل وكان معهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير، ثم اجتمع معهم بنى سليم وبنو أسد وفزارة وأشجع إلى غير هؤلاء حتى بلغ قوام الجيش عشرة آلاف مقاتل

مسلحين أفضل تسليح متخذين أقوى عدة وفى نيتهم أنهم سوف يستأصلون شأفة المسلمين بين عشية وضحاها .

موقف المدينة

لكى نتعرف على ما يجرى فى المدينة نتعرف أولاً على جغرافيتها ليتضح لنا ميدان المعركة ونتعرف على ما يجرى فى الساحة .

١ - جغرافية المدينة : هى محصورة بين جبلين ففى الجنوب الغربى يوجد جبل (عير) وفى أقصى الشمال يقع جبل (أحد) وعلى بعد من المدينة بما يعادل «٥كيلومتر» تقع مدينة قباء، ثم تحيط الوديان بالمدينة من جهاتها الأربع - فكانت بيوت المدينة متلاصقة بالجبال بحيث يصعب على أى مهاجم للمدينة أن يهاجمها من أى ناحية إلا من الناحية الشمالية . وكان يهود بنى قريظة يسكنون فى الشمال الشرقى من المدينة وهى الجهة التى يسهل الدخول منها واليهود بطبيعة الحال ليسوا أهلا للثقة لأنهم ليسوا أهل وفاء بالعهد .

٢ - بعد هذه الدراسة المبسطة عن جغرافية المدينة وقد بلغت أنباء الحشود التى تحزبت لقتال المسلمين بعد تحرك وفد اليهود لهذا جمع النبى ﷺ أصحابه واستشارهم فوقف سلمان الفارسى وأشار على الرسول ﷺ بحفر خندق فى الشمال الشرقى أما بقية الجهات فهى مشبكة البنيان تحميها بعض الجبال وعلل سلمان رأيه بحفر الخندق بقوله : «إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا» وقبل رسول الله ﷺ هذه المشورة لأن فيها الخير ثم هى تحقق الآتى :